

— ٢٢ —

القوى يفعل ما يشاء ويندفع مع قوته كما يشاء . وأن كل ما يفعله، وكل ما يتدفع إليه حميد جميل .

فما هو الضابط إذن للأخلاق القوية؟ أهو الاستطاعة؟ أكل ما يستطيعه القوى حميد وكل ما لا يستطيعه ذميم؟ إن معنى هذا إبطال مذهب القوة من أساسه ، والرجوع به إلى العجز وقلة الاستطاعة في خاتمة المطاف .

ولماذا يشاء القوى أمرا ، ولا يشاء أمرا آخر؟ لأنه يشاء ما يليق؟ أو يشاء ما يقدر عليه أو يشاء بلا ضابط من القدرة واللياقة؟

كل ذلك لا تفسره كلمة « القوة » وحدها ، ولا تغنى فيه عن تفسير يقترن بالقوة ، ويميز لنا ما هو جميل من أعمالها ، وما هو شائن قبيح .

ونعود إلى مذهب المنفعة في الأخلاق ، فنسأل : هل نرتضى أخلاق الجزع ، أو أخلاق الغدر ، أو أخلاق المشاكسة ، ولو لم يكن لها علاقة بمصالح الاجتماع؟

أليس في رؤية الرجل الجزوع قبح تنفر منه النفس ، ولو كانت فيه سلامة صياحه ، ولم يكن للخلق في ذاته علاقة بالفضائل الاجتماعية؟

أليس لنا مقياس آخر ، غير مقياس المنفعة الاجتماعية ، أو مقياس التفرقة بين الأقوياء والضعفاء؟

بلى . هناك مقياس لا بد من الرجوع إليه في جميع هذه الأحوال ، وهو صحة النفس . وصحة الجسد على السواء .

فالنفس الصحيحة تصدر عنها أخلاق صحيحة ، والجسد الصحيح يصدر عنه عمل صحيح ، أيا كان أثر الأخلاق والأعمال في حياة الجماعة . أو حياة الأفراد .

إن القوى الذى يفعل ما يشاء ليس بصحيح ، لأن النفس الصحيحة لا تنطلق كما تنطلق الآلة التى تملؤها قوة البخار ، أو قوة الكهرباء ، فتصدم وتخبط خبط عشواء حيث تحملها القوة العمياء .